تفسير إبن كثير

* إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ

يخبر تعالى أنه يأمر عباده بالعدل ، وهو القسط والموازنة ، ويندب إلى الإحسان ، كما قال تعالى : (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) [النحل : 126] وقال (وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على االله) [الشورى : 40] وقال (والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له) [المائدة : 45] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على هذا من شرعية العدل والندب إلى الفضل .وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : (إن االله يأمر بالعدل) قال : شهادة أن لا إله إلا االله .وقال سفيان بن عيينة : العدل في هذا الموضع : هو استواء السريرة والعلانية من كل عامل الله عملا . والإحسان : أن تكون سريرته أحسن من علانيته . والفحشاء والمنكر : أن تكون علانيته أحسن من سريرته .وقوله : (وإيتاء ذي القربى) أي : يأمر بصلة الأرحام ، كما قال : (وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا) [الإسراء : 26] .وقوله : (

وينهى عن الفحشاء والمنكر) فالفواحش : المحرمات . والمنكرات : ما ظهر منها من فاعلها ; ولهذا قيل في الموضع الآخر : (قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن) [الأعراف : 33] . وأما البغي فهو : العدوان على الناس . وقد جاء في الحديث : " ما من ذنب أجدر أن يعجل االله عقوبته في الدنيا - مع ما يدخر لصاحبه في الآخرة - من البغي وقطيعة الرحم " .وقوله) يعظكم) أي : يأمركم بما يأمركم به من الخير ، وينهاكم عما ينهاكم عنه من الشر ، (لعلكم تذكرون)قال الشعبي ، عن شتير بن شكل : سمعت ابن مسعود يقول : إن أجمع آية في القرآن في سورة النحل : (إن االله يأمر بالعدل والإحسان) الآية . رواه ابن جرير .وقال سعيد عن قتادة : قوله : (إن االله يأمر بالعدل والإحسان) الآية ، ليس من خلق حسن كان أهل الجاهلية يعملون به ويستحسنونه إلا أمر االله به ، وليس من خلق سيئ كانوا يتعايرونه بينهم إلا نهى االله عنه وقدم فيه . وإنما نهى عن سفاسف الأخلاق ومذامها .قلت : ولهذا جاء في الحديث : " إن االله يحب معالي الأخلاق ، ويكره سفسافها " .وقال الحافظ أبو نعيم في كتابه " كتاب معرفة الصحابة " : حدثنا أبو بكر محمد بن الفتح الحنبلي ، حدثنا يحيى بن محمد مولى بني هاشم ، حدثنا

الحسن بن داود المنكدري ، حدثنا عمر بن علي المقدمي ، عن علي بن عبد الملك بن عمير عن أبيه قال : بلغ أكثم بن صيفي مخرج النبي - صلى االله عليه وسلم - فأراد أن يأتيه فأبى قومه أن يدعوه وقالوا : أنت كبيرنا ، لم تكن لتخف إليه ، قال : فليأته من يبلغه عني ويبلغني عنه ، فانتدب رجلان فأتيا النبي - صلى االله عليه وسلم - فقالا نحن رسل أكثم بن صيفي ، وهو يسألك : من أنت ؟ وما أنت ؟ فقال النبي - صلى االله عليه وسلم - : " أما من أنا فأنا محمد بن عبد االله ، وأما ما أنا فأنا عبد االله ورسوله " . قال : ثم تلا عليهم هذه الآية : (إن االله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون) قالوا : اردد علينا هذا القول فردده عليهم حتى حفظوه . فأتيا أكثم فقالا أبى أن يرفع نسبه ، فسألنا عن نسبه ، فوجدناه زاكي النسب وسطا في مضر ، وقد رمى إلينا بكلمات قد سمعناها ، فلما سمعهن أكثم قال : إني قد أراه يأمر بمكارم الأخلاق ، وينهى عن ملائمها ، فكونوا في هذا الأمر رءوسا ، ولا تكونوا فيه أذنابا .وقد ورد في نزول هذه الآية الكريمة حديث حسن رواه الإمام أحمد :حدثنا أبو النضر ، حدثنا عبد الحميد ، حدثنا شهر ، حدثني عبد االله بن عباس قال : بينما رسول

االله - صلى االله عليه وسلم - بفناء بيته جالس ، إذ مر به عثمان بن مظعون ، فكشر إلى رسول االله - صلى االله عليه وسلم - فقال له رسول االله - صلى االله عليه وسلم - : " ألا تجلس ؟ " فقال : بلى . قال : فجلس رسول االله - صلى االله عليه وسلم - مستقبله ، فبينما هو يحدثه إذ شخص رسول االله - صلى االله عليه وسلم - ببصره في السماء ، فنظر ساعة إلى [السماء] فأخذ يضع بصره حتى وضعه على يمنته في الأرض ، فتحرف رسول االله - صلى االله عليه وسلم - عن جليسه عثمان إلى حيث وضع بصره فأخذ ينغض رأسه كأنه يستفقه ما يقال له ، وابن مظعون ينظر فلما قضى حاجته واستفقه ما يقال له ، شخص بصر رسول االله - صلى االله عليه وسلم - إلى السماء كما شخص أول مرة ، فأتبعه بصره حتى توارى في السماء . فأقبل إلى عثمان بجلسته الأولى فقال : يا محمد ، فيما كنت أجالسك ؟ ما رأيتك تفعل كفعلك الغداة ، قال : " وما رأيتني فعلت ؟ " قال : رأيتك شخص بصرك إلى السماء ثم وضعته حيث وضعته على يمينك ، فتحرفت إليه وتركتني ، فأخذت تنغض رأسك كأنك تستفقه شيئا يقال لك . قال : " وفطنت لذلك ؟ " فقال عثمان : نعم . قال رسول االله - صلى االله عليه وسلم - : " أتاني رسول االله آنفا وأنت جالس " . قال :

رسول االله ؟ قال : " نعم " . قال : فما قال لك ؟ قال : (إن االله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون) قال عثمان : فذلك حين استقر الإيمان في قلبي ، وأحببت محمدا - صلى االله عليه وسلم - .إسناد جيد متصل حسن ، قد بين فيه السماع المتصل . ورواه ابن أبي حاتم ، من حديث عبد الحميد بن بهرام مختصرا .حديث آخر : عن عثمان بن أبي العاص الثقفي في ذلك ، قال الإمام أحمد : حدثنا أسود بن عامر ، حدثنا هريم ، عن ليث ، عن شهر بن حوشب ، عن عثمان بن أبي العاص قال : كنت عند رسول االله - صلى االله عليه وسلم - جالسا ، إذ شخص بصره فقال : " أتاني جبريل ، فأمرني أن أضع هذه الآية بهذا الموضع من هذه السورة : (إن االله يأمر بالعدل والإحسان [وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون]) .وهذا إسناد لا بأس به ، ولعله عند شهر بن حوشب من الوجهين ، واالله أعلم .